

الآفاق البعيدة للعمل الثوري

اعذروني إذا لم أقدر أن أجيب على كل الأسئلة^(١) عدا عن ضيق الوقت عندي عوامل أخرى هي البعد الاضطراري عن ساحة العمل وعن المشاركة مع الرفاق الحزبيين وقت حدوث النكسة في حياة العرب، ذلك الحادث الخطير.

هذه العوامل تفرض علي التروي وعدم تكوين أحكام قبل أن أستعيد الصلة الحية بالواقع العربي وبواقع الحزب ولا بد من فترة تمضي للاطلاع واستعادة الصلة، وأيضاً لاعادة النظر في كثير من الأفكار التي اعتمدناها في الماضي ويصح أن ننظر الى الأمور نظرة جديدة. فأنا راجع بهذا التصميم بأن أضع كثيراً من الأفكار تحت المراجعة والنقد، ولكن بالتعاون مع الحزب والمنظمات والرفاق المؤهلين للتفكير والعمل القيادي لأن النكسة تفرض هذه المراجعة وإعادة النظر. وكنت أطلع على شيء مما كتب وأنا بعيد، كانت تصلني بعض الصحف والمجلات وقد حصلت مراجعة فيها أشياء ثمينة ولكن أعتقد أنها غير كافية. هذا ما يفسر شعوري بأنني مطالب أنا وغيري بأن نتثبت من جديد من متانة الأسس الفكرية التي وضعت للثورة العربية واني أتصور مهمة القياديين الأساسيين في الحزب مهمة فكرية بالدرجة الأولى ومهمة الانكباب على الدرس وعلى الواقع أيضاً لوصف نواقص وأمراض هذا الواقع ولنقد الأسس الفكرية الراهنة ليس فقط بالانحصار في الواقع العربي ولكن

(١) كلمة الاستاذ ميشيل عفلق في الشباب العربي في باريس: ألقاها بتاريخ ١٤ / ١٠ / ١٩٦٨ في طريق عودته من

البرازيل الى الوطن العربي.

بالمقارنة مع ما يجري في العالم ووضع الصورة الحقيقية للعمل الثوري .
جئت بهذه النفسية ولعل السن التي بلغتها يكون لها دخل في هذه النفسية ،
ولكن على أي حال من واجبي أن أعلن هذه القناعة التي تكونت عندي ولا أقول بأنها
ولدت بعد النكسة فقط ولكن النكسة القومية قوتها ورسختها ، وهي كما ذكرت لبعض
رفاقنا مقاومة رغبة الانسياق مع الاستعجال والنظرة الى الزمن نظرة عميقة كالتي بدأت
عند تأسيس هذا الحزب . فقبل ربع قرن أو أكثر كنا أيضاً في ظروف قومية صعبة تشبه
النكسة وكان التفكير الرائج يغري بالسباق والتنافس بين الأحزاب السياسية ، وكان
لا بد من ثقة بالفكرة وبالمبادئ وبالنفس ثقة قوية حتى يقاوم ذلك الاغراء وحتى
ينكب بعض الأفراد في البدء على بناء طويل الأمد لاتظهر فوائده وثماره قبل مضي
زمن غير قصير فكان في هذا وسيلة لاجتذاب واختيار العناصر الثورية غير العجولة
وغير المهتمة بالنجاح السياسي .

موضوع النكسة القومية يطرح مسائل فكرية كيف تستطيع الأحزاب والحركات
والأفراد الذين ساهموا بقليل أو كثير في الايصال الى هذه النكسة طوال سنين أو ربما
اقتصرت مساهمة بعضهم على أنهم لم يستطيعوا منعها . إنهم قصروا عن المستوى
الثوري المطلوب لتفادي مثل هذه النكسة؟ كيف تستطيع هذه الحركات وهؤلاء
الأفراد أن يضعوا الحلول والعلاج للنكسة ، كيف يستطيعون أن ينتقدوا أنفسهم بتجرد
ليس فقط النقد العلني وإنما النقد الداخلي الحقيقي ، وكيف يستطيعون أن
يصححوا ويهتدوا الى أسس أسلم في التفكير والعمل؟ من هذه الزاوية يظهر العمل
بأنه يتطلب وقتاً طويلاً وجهداً وصبراً ، وأعلى الصفات الثورية من حيث التجرد
والايمان والصبر والكفاءة ولكن طبعاً هذه الخواطر وهذه النظرة لا يستنتج منها
بالضرورة أن كل شيء في الماضي متهم بالخطأ أو بالتقصير ، وكل الأفكار يجب أن
يعاد فيها النظر . وقد سمعت من الرفاق الآن جملة ملاحظات واقتراحات فأستطيع أن
أوافق عليها وأتبنائها ، فالمرحلة الماضية برهنت على تهيؤ الأمة العربية للثورة هذا
صحيح هناك إنجازات ، هناك مواقف كان لها دورها في التقدم الذي سجلته الثورة
العربية خلال عشرين سنة ، كيف؟ لماذا لم تكن هذه الانجازات والمواقف كافية

لضمان نجاح الثورة لضمان اضطراد النجاح لمنع التراجع والنكسة؟ ما هي النواقص التي سببت انحراف الثورة العربية؟ لماذا لم تستطع هذه الثورة أن تستغل جميع الطاقات العربية المتوفرة لدى الجماهير؟ لماذا منعت الجماهير وحبت بدل أن تنطلق وتعطي أقصى مداها؟ لماذا زيفت الأهداف وزيفت الحركة أحياناً وكان معظمنا يشعر ويدرك بأن حركتنا سجيئة وأن الأعداء يضعون على لسانها ما ليس في حقيقتها وفي ضميرها، تقوم بأعمال هي نقيض ما كان يفترض أن تقوم به؟ لا أظن اني سأقول لكم أشياء لم تفكروا فيها فهذه التجربة عشتوها كما عشناها. أظن أننا متفقون على أن الثورة العربية وحركتنا التي هي جزء أساسي فيها لم تجسد الصيغة العملية التي تفرض وتتيح لأكثر عدد ممكن من الأفراد أن يعاونوا وان يساهموا في النضال، فكانت الثورة عامة وحركتنا بصورة خاصة تصل الى تحمل مسؤوليات قبل أن تكون التجربة النضالية قد صهرت جميع أفرادها، أو العدد الأكبر من أفرادها، وبالتالي سلحتهم بالوعي وبالأخلاق الثورية لكي يصمدوا أمام المسؤوليات الجديدة، فكانت هذه القفزات مناسبة لظهور النقص والزيغ أي ظهور الكثيرين من الذين لم يجربوا التجريب الصحيح لم يتشربوا لم يمارسوا النضال بكل مراحلها. القفزات والتساهل في جمع الأفراد والتساهل في تجنب بعض المعارك كل هذا كنا ندفع ثمنه. بعد نكسة ٢٣ شباط شعرنا بأن ما خسرناه لم يكن شيئاً ثميناً إذا عرفنا كيف نستفيد من ذلك الدرس وأن الذي يمكن كسبه من خسارة الحكم قد يكون بداية لتصحيح الانحرافات السابقة وللتعويض عن النواقص السابقة.

وأقول ومعني الكثيرون من الاخوان الذين مروا بتجربة الحكم بأن تحمل مسؤولية الحكم قبل التهيؤ اللازم هو نوع من الجحيم الذي لا يحتمل ولا يوصف، لأن الحزب محاط بالأعداء والأمة محاطة بالأعداء والمؤامرات من كل جانب، وأكبر فح ينصب للحزب هو أن يورط في الحكم قبل أن يستعد له، في حين أن الحزب في النضال يشعر بأنه يملك ذاته يملك نفسه في كل لحظة وفي كل دقيقة، وسواء أكان يضم الألوف أو العشرات فهذا الشعور هو واحد يضع عشرات من المناضلين في نضالهم واستمرارهم إمكانية كسب الأعداد الكبيرة للحزب، في النضال لا يمكن لأي

قوة في العالم أن تضطره لأن يقول كلمة لا يؤمن بها ولا يعتقدونها أو أن يقوم بأي عمل ليس من طبيعته أو سلوكه . دعايات الاعداء والدول الاستعمارية أعجز من أن تنال من حزب مناضل ، أن تزيفه أو تشوهه ، تبقى أضعف منه وهذه الحال تتغير تماما عندما يستلم الحزب الحكم ، فكيف نحافظ على الاستفادة من ذلك في الوقت الذي يكون فيه الحزب في قطر من الاقطار قد وصل الى مسؤولية الحكم .

فأنا لا أقول بأنه يجب أن ينسحب رفاقنا من الحكم بعد أن وصلوا إليه في العراق ، ولكن أقول بأن تجارب عشرين سنة وتجربة الخمس سنوات الاخيرة بصورة خاصة من عام ١٩٦٣ الى الآن يجب ان تكون ماثلة وأن تكون واضحة وان توضح وتكتب وتشرح وان يمثلها القادة ويتذكروها وليس من المستحيل ان يتمكنوا من استيعاب هذه التجربة استيعاباً حياً لمواجهة مسؤوليات الحكم بشكل جديد وبنفسية جديدة وبيارة جديدة هذا ليس مستحيلاً ، ولكن هذا ليس سهلاً بل هو صعب جداً ويجب أن نلح على هذه الصعوبة تفادياً للوقوع في أخطاء قد تكون مدمرة .

النظرة الاولى للحزب أيها الرفاق نظرة ما زلت اعتقد بأنها مستلهمة من واقع الامة العربية بصدق حتى قبل نكسة ٤٨ لان نكسة ٤٨ كنكسة ٦٧ كانت نتيجة لا سبب ، كانت نتيجة لاوضاع سابقة ، كان الحزب عندما تأسس قبل ٤٨ بوضع سنوات ، كان يعيش في وسط تلك الاوضاع ، وكان بالتالي يستشف الشروط المطلوبة للعمل الثوري الجدي المتكافيء مع الصعوبات التي تقف في وجه الامة العربية ، في وجه حريتها وفي وجه خروجها من التخلف وفي وجه توحيدها . فالنظرة الاولى والتي لم يتراجع عنها الحزب فيما بعد هي اعتبار الامة العربية في حالة حرب . نظرة ثورية قاسية بمعنى ان الحزب لم يتجاهل حقيقة الاخطار المحيطة بالامة ودرجة خطورة الامراض ، لم يتجاهلها وهناك إلحاح على هذا الفارق الكبير بين حاضر الامة العربية وحاضر الأمم الراقية ، هذا الفارق الكبير الذي يجب أن يوحى بمستوى الانقلاب الفكري المطلوب .

هذا الفارق الكبير ، هذه الأخطار والمؤامرات الاستعمارية ومنها الصهيونية المحدقة بالامة العربية كان الحزب يلح أيضاً عليها وعلى جسامتها وعلى خطورتها ،

ومقابل ذلك يلح على غنى الامكانيات العربية إمكانيات الشعب العربي الكامنة التي يجب أن توظف والتي يجب أن توضع لها الصيغة العملية لكي تنطلق ولكي تتحقق وتستغل فستطيع التغلب على الصعوبات وعلى الأخطار والأمراض والعلاقة واضحة بين هذه النظرة القاسية، النظرة التي لاتقلل من شأن الأعداء ولا من شأن الأخطار ولا من شأن الأمراض العامة، العلاقة واضحة بين هذه النظرة وبين فكرة الوحدة العربية . هذا شيء ملازم لفكرة الحزب، منذ البدء أكد الحزب أن البعثي لا يصل الى النظرة الثورية العميقة إلا من خلال النظرة الوحدوية، النظرة للأمة ككل والى واقعها المتخلف، فإذا غابت النظرة الوحدوية أو ضعفت وتراخت وتغلبت النظرة القطرية تخف قسوة النظرة الثورية وبالتالي يهبط مستوى التفكير والعمل الثوري .

فمسؤولية تسلم الحكم في قطر هذا شيء واقعي ان الحزب إذا كان عليه أن يصل الى الحكم فلن يصل دفعة واحدة الى حكم الوطن العربي بل لا بد أن يصل من خلال الواقع المجزأ الى الحكم في قطر ثم في قطر، ولكن ربط ذلك بالنظرة الوحدوية الشاملة هو الذي يحمي تفكير الحزب وعمل الحزب من الانزلاق في السهولة أن يتصور الامور أسهل مما هي في الحقيقة . فوحدة الأمة العربية حقيقة في الايجاب وفي السلب . حقيقة في الايجاب لأنها هي القوة وهي الوضع الصحيح السليم، حقيقة في السلب بمعنى أن الأعداء يتآمرون على الأمة العربية كلها وعندما يضربون قطراً من الاقطار يقصدون ضرب الأمة كلها وبالتالي العمل في قطر سواء في حالة نضال أو حالة استلام الحكم (الذي يجب أن نفهم منه أنه نضال من نوع آخر) أريد أن أقول أن العمل في القطر في جو وروح ومنطق الوحدة والعمل القومي بتربية الجماهير بتربية مناضلي الحزب على أساس أن الأمة العربية في حرب مستمرة من قبل ٦٧ ومن قبل ٤٨ ولا حاجة للفت النظر إلى أن كثيرين ممن يسمون انفسهم ثوريين وأن كثيراً من الانظمة التي تسمي نفسها ثورية لم تطبق ولم تجسد هذه النظرة وهذه الروح .

موضوع الجبهة من خلال هذه النظرة من خلال هذا المنطق يمكن أن ننظر الى استراتيجية العمل في الجبهة بأن يعود الحزب الى جوه الطبيعي، الى النضال، الى

نظرتة القاسية. وإذا كان الحزب قد تورط في الماضي في الغرور والسطحية والاعتداد والانفراد وأنه يستطيع فعل كل شيء وهو لم يتهياً التهيئة اللازمة، فخطة العمل الجبهوي هي معالجة لهذا الغرور السابق لهذه السطحية لكي يمحو الحزب من ذهنه ومن ذهن الرأي العام أثر هذه الفجاجة هذا التشويه الذي أحدث خيبة أمل عند الجماهير وعند مناضلي الحزب ولكي يعود ليجد قلوب الجماهير مفتوحة أمامه دون تحفظ ولكن المبدأ الاساسي هو أن يعمل الحزب لانه يحمل رسالة تاريخية. يعمل عملاً ثورياً على مستوى الوطن العربي وان يعتمد على نفسه بالدرجة الاولى وما انفتاحه على الآخرين إلا من أجل تحميلهم مسؤولياتهم ووضع حد لخطر الوقوع في الغرور لخطر تغطية الواقع الهزيل بشعارات فضفاضة ومن ثم لحفز الحزب الى القيام بالدور الذي لم يستطع القيام به في الماضي.

أسف إذا اخذت كلمتي هذا المنحى ولم أتعرض لبعض الأسئلة بالدقة المطلوبة، ولكن كما قلت لكم في الواقع لم أشعر بأني مهياً لاعطاء أحكام وآراء قبل أن أستعيد الصلة بالحزب وبالواقع القومي وقبل أن أشارك في دراسة هذا الواقع الجديد دراسة متأنية لا تتأثر بعامل السباق، وأضيف كلمة واحدة وهي اني من خلال هذه النظرة لا أعطي للوضع القائم في سوريا تلك الأهمية التي قد يعطيها رفاق آخرون، وحتى من قبل نكسة حزيران وعلى أثر نكسة شباط لم أعط للوضع في سوريا هذا الاهتمام واعتبرته ظاهرة لنكسة الحزب ونكسة الثورة العربية، وان مسألة بقاء مجموعة في الحكم فترة من الزمن هذا الشيء لا يقدم ولا يؤخر كثيراً إذا انصرفنا بجد الى دراسة الظاهرة الكبرى. وبعد نكسة حزيران تضاعفت قناعاتي اضعافاً بأن المهم هو أن يستعيد الحزب دوره بالنسبة للثورة العربية والنضال العربي وإلى قضية فلسطين التي هي خلاصة هذه الثورة وهذا النضال وان اهتمام الحزب بالوضع في سوريا يجب أن لا يتعدى حداً معيناً.

١٤ تشرين الاول ١٩٦٨